

بنية قصيدة المدح عند ابن جابر الأندلسي

الباحثة / روضة محمد سيد راشد

الملخص:

يدرس هذا البحث التناص عند ابن جابر الأندلسي ت ٧٨٠، فالتناص يجعل النصوص تتقاطع وأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضاً، فالكاتب أو الشاعر يعتبر في هذه الحالة معيدا لإنتاج سابق في حدود من الحرية، ويظهر هذا من خلال النظر في شعر ابن جابر الأندلسي فأجد لديه اقتباس من القرآن والسنة، مع التغير في بعض الألفاظ بما يناسب وزنه الشعري، وأحيانا يقتبس جزءا من الآية كما هو لفظا ومعنا، أو استشهاد على معنى يريد له ليؤكد أو يضيف عليه جمالا وإبداعا، وبعض الآيات تضمنت أبياتا شعرية سابقة أو عبارات منها، وسينظر كيف وظف الألفاظ أو كيف استخدمها في خدمة معانيه بما يناسب موضوع قصيدته.

وكل هذا يظهر ثقافته الدينية والعربية، فكفاف بصره لم يكن عائقا له عن التنقل لطلب العلم ومدارسة اللغة العربية وكل هذا يظهر جليا من خلال شعره .

Snapshot of Ibn Gaber Al-Andalusi.

This research study snapshot when Ibn Gaber Al-Andalusi died ٧٨٠, and sniper makes texts intersect and production of any text is the owner's knowledge of the world and this knowledge is the interpretation testing by the receiver also. The writer or poet is considered in this case a repeater of a previous production within freedom and this is shown by looking at Ibn Gaber's poetry and I find that he has a quote from Quran and sunnah with the change in some including the weight of the poetic, and sometimes he quotes a part of the verse

is quoted as it is pronounced and meaningful, or he cited a meaning that he wanted to confirm or add beauty or creativity to it.

Some of the verses included earlier poetic verses or phrases from them, and he will look at how he employed words or how he used them in the service of his meaning, in a way that suits the subject of his poem.

All this shows his religious and Arabic. The lack of his eyesight was not an obstacle for him to move to seek knowledge and the Arabic language, and all this is evident through his poetry.

التناص هو: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق: الاقتباس، أو التضمنين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي و تدغم فيه ليشكل نصاً جديداً واحداً متكاملًا"^١.

وقد تمثل ابن جابر الأندلسي شعر المدح في تراثنا العربي وتفاعل معه وتناص معه؛ فقد يقتبس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي ... نصوصاً بعينها، وقد يأخذ بعض الألفاظ مع تغيير في الترتيب، وقد يأتي بالمعنى وبألفاظ مختلفة. ويظهر ذلك في الأمثلة الآتية:

أولا التناص مع القرآن:

١- تناص بنفس لفظ الآية القرآنية

*كما في قوله في حديثه عن الصحابة في المطولة^٢:

وبالعشرة الأخيار من بعده اقتد	بهدي النبي الهاشمي محمد
وهم أوضحوا سبل الرشاد لمهتد	فهم نصحوا كل العباد وما ونوا
وقاموا بنصر الدين في كل مشهد	هم (جاهدوا في الله حق

فالبيت الثالث يتناص مع قوله الله تعالى^٢: **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ... بنفس الألفاظ ولكن الآية أمر للأمة الإسلامية أما هو فيخبر عن صفات الصحابة .

• وفي قوله في حديثه عن النصر الذي تلى فتح مكة:^٤

إذا جاء نصر الله خاب العدا ولو
علت بهم في الجو عقبانة الفتح
وأيضاً^٥:

وقد قرأت بعد القتال سيوفه
له الفتح من غير إدغام ولا أخفي
إذا جاء نصر الله والفتح والنجت
إلى التوبة الأحزاب كان لهم كهفا
ألم تر كيف النور من حجراته
إذا الليلُ يغشى يشبه الفجر إذ

ففي البيت الثاني تناص مع قوله تعالى^٦: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}** { بنفس لفظ ومعنى الآية ، ومع قوله تعالى^٧: **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى** (١) مع اختلاف في الترتيب. ويقول أيضاً عن الفتح^٨:

فكم ليل شرك قد محا صبح وجهه
ونور هدى أبدى ونار هوى
بعيش غدت أقلام آذان خيله
تحط لهذا الدين من نصره
إذا قرأت أي القتال سيوفه
جعلنا على (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ)
ويقول في شجاعة الملك الصالح^٩:

طرف يسير بذاك الليث تخطبه
هام الكمأة علينا إن أردت فطا
طراز رايته في كل مُعترك
إنا فتحنا فكم عز به ارتبطا

يتناص مع قوله تعالى^{١٠}: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** ، فالآية القرآنية إخباراً عن فتح مكة ، أما قول ابن جابر فجعل قراءتهم للقرآن سبباً للنصر ، وذكر هذه الآية خاصة تفائلاً بنصر رسول الله .

ويقول أيضاً^{١١}:

شهد الكتاب له وجاوب ربه
عنه الورى فالقول عنه مصدقا
ولقد كفى (ما ضل صاحبكم)
كذب الفؤاد (لمن به يتحقق

ويقول أيضاً^{١٢}:

أولاه مولاه في (ما ضل) وما غوى) وجه جاه للعقول جلى

وفي قول الشاعر أيضاً^{١٣}:

(ما ضل صاحبكم) كفاه مزية ومقال (ما كذب الفؤاد) بحسبه

تناص مع قوله تعالى^{١٤}: **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** (٢) فذكرها في عدة مواضع بنفس اللفظ والمعنى وهو التأكيد على صدق ما جاء به رسول الله ، وذكر أن هذه مواساة لرسول الله ونصره له، حيث نفى عنه الله سبحانه الضلال والكذب .

وفي ذكره لتعداد معجزات رسول الله :^{١٥}

وحسبنا معجز القرآن معجزة تبقى على مر أزمان وأعصار

وكل معجزة للرسول قد سلفت وافى بأعجب منها عند إظهار

فما العصا حية تسعى بأعجب شكوى البعير ولا من مشي أشجار

تناص مع قوله تعالى^{١٦}: **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى** (٢٠) فذكر هنا معجزات رسول الله فلكل نبي معجزة على حسب ما برع فيه قومه ، فعصا موسى عليه السلام وقد اشتهر قومه بالسحر ليست بأعجب من شكوى البعير لرسول الله ، ولا من مشي الأشجار لتظله حين كان في الصحراء فاقتبس نفس اللفظ بنفس معناه .

• وفي قوله عن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته وإيذائهما له^{١٧}:

وعندما أنزلت (تَبَّتْ يَدَا) فاتت حمالة الحطب المذمومة العمل

وكان بين جيدها وهي ما شعرت لما أتته لترميه فلم تصل

ويقول في مدح الملك الصالح^{١٨}:

تالله ما قل ذو حاجة كفك إلا كان مبخوتا

تبت يدا من مد يوما يدا للغير ما دمت وأحييتا

يتناص مع قوله تعالى^{١٩}: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** (١) **مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** (٢) **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** (٣) **وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** (٤) **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ**

مَسَدٍ (٥) ، فبدأ بذكر النص القرآني ومهد لذكره للقصة بقوله ولما أنزلت ، ثم ذكر باقي القصة بنفس المعنى مع اختلاف الألفاظ ، أما في مدحه للملك فاقتبس اللفظ فقط مع اختلاف المعنى ، حيث إنه يدعو على من يساعد أحداً مع وجود الصالح .

• ويقول في بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠ :

أوحى إليه بما أوحى وأرسله إلى البرية معصوماً من الخطل

فقام يظهر آيات مبيّنة عمت بيانا وأعيت كل ذي جدل

يتناص مع قوله تعالى ٢١ : فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) ، فاختلف في الضمير

بدل لفظ عبده مع اتفاق في المعنى .

• ويقول أيضاً عن الفتح ٢٢ :

فكم ليل شرك قد محا صبح ونور هدى أبدى ونار هوى

بجيش غدت أقلام آذان خيله تحط لهذا الدين من نصره

إذا قرأت آي القتال سيوفه جعلنا على (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ)

ويقول في شجاعة الملك الصالح ٢٣ :

طرف سير بذاك الليث تخطبه هام الكماة علينا إن أردت فطا

طراز رايته في كل مُعترك إنا فتحنا فكم عز به ارتبطا

يتناص مع قوله تعالى ٢٤ : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ، فالآية القرآنية إخباراً عن فتح

مكة ، أما قول ابن جابر فجعل قراءتهم للقرآن سبباً للنصر ، وذكر هذه الآية خاصة تفتائلاً بنصر رسول الله .

*ويقول في عجز المشركين عن الإتيان بسورة من القرآن ٢٥ :

الله أيده بذكر محكم سرج الهداية في البؤية أسرجا

عجز الورى عن سورة من مثله وعلى البليغ القول منهم أرتجا

وأيضا قوله ٢٦ :

ومعجز القرآن أعجز قومه إذ لم يخافوا في الكلام قصورا

نادى أروني سورة من مثله فعدا بليغهم هناك حسيرا
 في منزل القرآن أكبر آية إذ لا يزال مجدداً مذكوراً
 يتناص مع قوله تعالى ٢٧: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢٣) ، فأكثر آية يقصد: آية الدين ٢٨
 وهي أطول آية في القرآن، فذكر النص بنفس ألفاظه ومعناه فبعد أن ذكر صفات القرآن
 وإعجازه ذكر عجز بلغاء العرب عن الإتيان بسورة واحدة .

٢- ما دخله بعض التغيير في الألفاظ والترتيب .

ويقول في مدح الملك الصالح ٢٩:

تالله ما قل ذو حاجة كفك إلا كان مبخوتا

تبت يدا من مد يوماً يدا للغير ما دمت وأحييتا

يتناص مع قوله تعالى ٣٠: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ، فبدأ بذكر النص القرآني ومهد لذكره للقصة بقوله ولما أنزلت ، ثم ذكر باقي القصة بنفس المعنى مع اختلاف الألفاظ ، أما في مدحه للملك فاقتبس اللفظ فقط مع اختلاف المعنى، حيث إنه يدعو على من يساعد أحداً مع وجود الصالح.

• وفي حديثه عن إهلاك المشركين يقول ٣١:

فأباد الله من كان أبي وبه يوم السلام كان نهزا

هل تحس اليوم منهم أحدا ذا بقا أو لهم تسمع ركزا

تناص مع قوله تعالى ٣٢: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ، فالآية تخويف لأهل مكة، فالله يحذرهم؛ لينظروا لما حدث لغيرهم حالة العصيان، فهل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم صوتاً فقد ماتوا وحصلوا أعمالهم ٣٣ ، فذكر نفس المعنى وقدم لهم على تسمع ، وأزاد لفظ اليوم ليستقيم الوزن.

• ويقول في حديثه عن نصره الدين وعن عدم فائدة الأصنام للمشركين: ٣٤:

جاء لهذا الوجود نورا فأوجه الزهر نيرات
بدل عز العداة ذلا لم تغن عزي لهم ولا

وفيهما تناص بالإشارة إلى قوله تعالى ^{٣٥}: **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩)**، فالاستفهام تعجب مما يعبدون وذكر ابن جابر هذا المعنى في قوله لم تغن .

• وفي إعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم للرسالة يقول: ^{٣٦}

صدعت بأمر ربك غير وانٍ وعن حالات جاهلهم صفحتا
جمعت قلوبنا بعد افتراق وأسباب الرشاد لنا جمعتا
فكم من جاهل علمت منا وكم من ضيق حادثة فرجتا

تناص مع قول الله تعالى ^{٣٧}: **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)**، أي ^{٣٨} بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك فلا تخف غير الله ، ولا تبال للمستهزئين ، وقد ذكر ابن جابر المعنيين في البيت .

• يقول في تأكيد صدق ما جاء به رسول الله ^{٣٩}:

وسورة منه ما أطاقوا وكان قصواهم الصمات
ما كان ما قاله حديثا فيه افتراء ولا افتئات

تناص بالإشارة إلى قوله إلى قوله تعالى ^{٤٠}: **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)**، فأشار إلى الآية الكريمة بلفظ موجز ليؤكد صدق ما جاء به رسول الله، وأنه لن يكون من عند بشر.

• يقول ابن جابر في الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج ^{٤١}:

فسبحان من أسرى به كراماً له وذلك للعقل السديد مسوغ
إلى قاب قوسين انتهى عندما دنا وذلك أنهى ما يكون وأبلغ
لقد خصه الله قرباً بأشرف فليس لمخلوقٍ سواه يسوغ

وفي قوله أيضاً ^{٤٢}:

أسرى به ربه ليلاً فأوسعها نيلاً وعاد وحرف الليل قد كشطها

الله أعطاه ما لم يعطه أحد
وفي قوله أيضا^{٤٣}:

فإن غاية فضل ما عليه غطا
إلى المسجد الأقصى إذ
فصلى إمام الأنبياء جميعهم
وإن إمام القوم أعلى وأرفع

وفي قوله^{٤٤}:

بجسمك أسرى ذو الجلال ولم يكن
مناما فحارت هاهنا العقلاء

في كل هذا تناص مع قول الله تعالى^{٤٥}: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)** ، يلاحظ في ذكره لرحلة الإسراء والمعراج اختلافه في الصيغة التي يذكرها، فمرة يذكر أنها ليلاً والناس نيام والرجوع أيضاً كان ليلاً وأنه كان بالجسد وليس بالروح فقط، ومرة يذكر أن الإسراء كان من مكة إلى المسجد الأقصى ليصلي بالأنبياء لإثبات أنه خاتم الأنبياء وأن ما جاء به هو الحق المتبع الذي نسخ كل ما قبله ، ثم عرج إلى السماء ووصل إلى موضع لم يصل له ملك مقرب ولا نبي مرسل، فقد ذكر القصة كاملة ولكن متفرقة في كل موضع ما يناسب وزنه.

• ويقول في فضل الله على الناس بعد أن جاء رسول الله وظهر الإسلام في جزيرة العرب^{٤٦}:

قد آمن الناس بعد خوف
فكيف أخشى غداً وإنني
عليه من ربه صلاة
وصان من كل ما يضير
بسيد الخلق أستجير
سائر أحابه تزور

تناص بالاشارة لقوله تعالى^{٤٧}: **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)** ، وفي نسبة للفعل إلى رسول الله ليس على الحقيقة، بل بيان أنه حدث بسببه صلى الله عليه وسلم وفي عهده ، حيث دعا الله حين اشتكت له قريش القحط ، فأحصبت اليمن وحملوا الطعام إلى مكة وأخصب أهلها ، وأمنهم من خوف الجذام^{٤٨}.

• وفي قوله ناصحاً^{٤٩}:

أعرض عن الجاهل مهما قد أسا
وحسبه من جهله ما قد حوى

ولا تلم ذا سفه فإنه إن لمته لم يشد ولا ارعوى

تناص بالإشارة لقوله تعالى^{٥٠}: خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)، ينصح غيره بما أمر الله رسوله به ، فالإعراض عن الجاهل هو نجاة للعاقل ، والمقصود بالجاهل: الإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء^{٥١}.

٣- ما تشابهت المعاني فيه بالآيات القرآنية و اختلفت الألفاظ

- يقول في إرسال رسول الله رحمة للعالمين^{٥٢}:

الله أرسله إلينا رحمة
فلنا لديه ترحم وترفق
رَكَاه خالقه ونزّهه بما
أمر النبوة عنده متحقق

تناص مع قوله تعالى^{٥٣}: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)، ذكر بعض الألفاظ حتى وإن حدث تغير في الصياغة، والبيت الثاني المقصود به قوله تعالى^{٥٤}: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)، فذكر المعنى فقط وأشار إلى معنى الآية فقط .

- وفي تشبيهه ذكره لاسم محبوبته بقصة موسى عليه السلام حين طلب أن يرى الله عزوجل واندكاك الجبل عند التجلي^{٥٥}:

ولكنني أخشى إذا بحت باسم
أهيم به أني أزيد الحشا وقدأ
فلو يتجلى ذكره لمسماعي
على طور قلبي دكه الوجد فانهدأ

ويتناص بالتضمين مع قوله تعالى^{٥٦}: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ، وهنا يتحدث عن محبوبته التي غالى في حبها حتى أن ذكر اسمها فقط يهدم حصون قلبه ، واختياره الألفاظ الواردة في قصة موسى عليه السلام، ليوضح عظم مكانتها في قلبه، رغم أنه لا يوجد مقارنه أو تشبيه بين كلام موسى مع الله عزوجل وبين حبه لمحبوبته .

- ويقول في مدح الملك الصالح^{٥٧}:

إن نظموا ألفيته
وسط اللآلي منزلا

وإن هم قد عددوا كان الأخص الأولاً
إن بني الآمال لا يبغون عنه حولا

قال تعالى ٥٨: خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)، فشبّه الرعية التي تقصد الملك الصالح لحاجتهم وبسبب كرمه لا يريدون التحول عنه، بالمؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا يريدون الخروج منها بسبب ما يروه من النعيم والخير الكثير .

ثانياً: التناسخ في الحديث

١- ما كان بنفس ألفاظ الحديث

- قال ناصحاً بصدق النية ، وإخلاصها لله ٥٩:

وصلوا جواركم بنية مخلص
هذا نبيكم وهذا أنتم
لله فالأعمال بالنيات
فتوسلوا في العفو قبل فوات

*وقال في مدح الملك الصالح ٦٠:

رُكَا مَلِكِهِ إِذْ نَوَى
هِنِيئًا لَهُ إِنَّمَا
رَضَا اللَّهُ حَيْثُ انْتَوَى
لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ٦١، فذكر جزءاً من الحديث في موضع وذكر الجزء الثاني في موضع آخر، حيث مدح الملك الصالح أنه أحلص في النية في توليه الملك فهنيئاً له.

٢- ما كان بنفس معنى الحديث

- في قوله واعظاً ومبيناً كتابة الله أقدار العباد ٦٢:

احذر لعمر الله لا ينجيك من
قد جفت الأقلام قبل بما
قدر فلا ترم المحال فتعباً
وسوى الذي كتبت لنا لن يكتبنا

يتناسخ مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ حَنْشِ الصَّنْعَائِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ...، إلى أن قال : رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "٦٣، فاختار لفظ الأقلام وجفت ليدل على أن كل ما يحدث مكتوب ومقدر منذ الأزل، وجفاف الأقلام ليدل على انتهاء الكتابة فلا يتغير شيء.

• وفي حديثه عن أنين الجذع الذي فارقه رسول الله بعد أن كان يتكى عليه وهو يخطب^{٦٤}:

وَأَنَّ الْجَذْعَ حِينَ بَعَدَتْ عَنْهُ وَزَالَ أُنَيْنُهُ لَمَّا دَنَوْنَا

* وقوله أيضا^{٦٥}:

وَإِنَّ الْجَذْعَ حَنَّ إِلَيْكَ شَوْقًا وَأَشْفَقَ إِذْ بِمَنْبَرِكَ ابْتَدَلْنَا

تناص مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جَذْعِ نَخْلَةٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمَنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَى الْمَنْبَرِ، فَحَنَّ الْجَذْعُ حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ لَمْ أَحْتَضِنُهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "٦٦، فالبيتان يكملان المعنى فالأول ذكر فيه المعجزة، والثاني أضاف سبب الأنين وهو الشوق لرسول الله لأنه استبدله بمنبر آخر، ولم يهدأ أنينه إلا بعد احتضانه ودنو رسول الله منه.

• وفي قوله عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما عاب طعاما قط إن أعجبه أكله وإلا تركه^{٦٧}:

مَا كَانَ مَا عَابَ الطَّعَامَ إِذَا أَتَى إِنْ شَاءَ يَأْكُلُهُ وَإِلَّا أَعْرَضَا

شَمَلَ الْخَلَاتِقَ لَطْفَهُ وَسَمَاحَهُ حَتَّى تَدُلُّ شَارِدًا وَتَرِيضَا

تناص مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ "٦٨، ذكر بعض الألفاظ المختلفة في الإعراض والترك حتى يناسب الوزن الشعري، وذكر أن هذا من فضائل أخلاقه

• وفي قوله عن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه^{٦٩}:

فَصَدَقَ إِذْ كَذَبْتُمْ وَأَطَاعَ إِذْ عَصَيْتُمْ ، وَوَفَانِي مَوَافَاةَ مَسْعَدِ

وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ أُمَّتِي كُنْتُ آخِذَا خَلِيلَا تَوَلَّى خَلْتِي وَتَوَدَّدِي

لكان أبا بكر ، ولكن أخوة في الإسلام مهما ينقص الناس

وفيها تناص مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبًا رَأْسَهُ فِي حِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «إِنَّهُ لَيَسَّ أَحَدٌ أَمَّنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خَلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةٍ أَبِي بَكْرٍ»^{٧٠} ، فذكر أنه صدق رسول الله ليلة الإسراء ، وبدل أخوة بخلة للوزن ، وهي زائدة بالإيمان غير أخوة النسب التي قد يحدث بها شقاق لأسباب دنيوية أو دينية .

• وفي قوله عن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه^{٧١}:

هو المرء لم يترك له الحق ولا قعد الشيطان منه بمقعد
ولا سلك الشيطان فجأ قد له سالكا من خوفه المتزيد

وفيها تناص مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي أن عمر رضي الله عنه وبخ النسوة الآتي خرجن خوفا منه حين علمن بقدومه ، رغم جلوسهن مع رسول الله فوجهن لذلك : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دَعْنِي عَنكَ يَا عُمَرُ، فَوَاللَّهِ إِنْ لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ بِفَجٍّ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ »^{٧٢} ، فذكر سبب هروب الشيطان منه ، حيث أنه رضي الله عنه كان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتوانى عن الصدوع بالحق، لذا خاف الشيطان منه ، فذكر معنى الحديث بألفاظ تناسب الوزن الموسيقي .

• وفي قوله عن فضائل عثمان رضي الله عنه^{٧٣}:

فقال رسول الله إذ جاءه بما
هنيئاً لعثمان بن عفان فعله
وقول أبا أبيدي حياءً لمن له
قد احتاج من مال وظهر واعتد
وما ضره ما بعد من هذه اليد
قد واستحيت الأملاك أشرف

وفيها تناص مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الرحمن بن سمره قال: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالِبُهَا وَهُوَ يَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» ، يُرَدُّ ذَلِكَ

مِرَافاً^{٧٤} ، فقله هنيئاً بشارة لعثمان حيث سَعِدَ رسول الله بما تبرع به ، ثم انتقل لقول الرسول ما ضر ماعمل، ولكنه ذكر اليد التي هي السبب في العمل، فهي التي أعطت تخصيصاً، وإن كان قول رسول الله أعم حيث قال عمل أي شيء حتى وإن لم يكن بيده.

● وفي قوله متحدثاً عن فضائل علي رضي الله عنه وكرم وجهه^{٧٥}:

ومن كنت مولاه علي وليه
ومولاه فاصدق حب مولك ترشد
وإنك مني خاليا عن نبوة
كهارون من موسى وحسبك

وفي هذه الأبيات تناص مع حديث أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^{٧٦} ، فالحديث بصيغة النفي ، ولكنه ذكر لفظ الخلو، ليناسب الوزن.

ثالثاً: التضمين مع الشعر

وقد تضمن من الشعر العربي بعض المعاني، أو بعض الألفاظ مما يدل على علمه بالشعر واطلاعه على الأدب، فقد كان عالماً في اللغة رحمه الله، ومن ذلك :

١- ما كان بنفس الألفاظ

● يقول في حديثه عن الأطلال^{٧٧}:

عهدي بها حيناً وفيها أهلها
ولكل دار نقلة وبدل

وقد قاله العروضيون في الشاذ من بحر الكامل ؛ وقد قال الزمخشري في القسطاس : وقد جاء عن العرب (فعلن) في الضرب ، والعروض متفاعلن وأباه الخليل . قال ::

عهدي بها، حيناً، وفيها أهلها
ولكل دار نقلة، وبدل

أخذ الضرب^{٧٨}

● وقال في مقدمته الغزلية^{٧٩}:

النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف عنم

وهو نفس البيت الذي قاله المرقش الأكبر^{٨٠}:

النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف عنم

وهو نقل مباشر للأبيات جاء عفواً في قول ابن جابر الأندلسي ...

٢- ما به اختلاف في الألفاظ

* وقال ابن جابر متوسلاً حتى يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قد غرته الأهواء فأذنب ولكن أمام رسول الله تصغر كبار الذنوب لعظمته^{٨١}:

صغرت كبار ذنوبه لما أتى ولعظم جاهك تصغر الأشياء

وهو يتناص مع معنى بيت المتنبي حيث يقول^{٨٢}:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام

فحسب مكانة الإنسان يكون تقديره للأشياء فالعاقل الحكيم تصغر في عينه العظام،
فلذلك صغرت ذنوبه في مقام رسول الله لعظمته وارتفاع شأنه، فاقبسه للمعنى كان في محله .

• ويقول مادحاً رسول الله^{٨٣}:

وأنت البادي الآتي أخيراً فهل أحد علا ما قد علوتنا

وإنك خير من ركب المطايا وأشرف من مشى في الأرض

وشطر البيت الثاني الأول يتناص مع جرير مع اختلاف في الكلمة الأولى حيث يقول

:^{٨٤}

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وهو أمدح بيت قالته العرب لذا اختاره لرسول الله ، ولكنه أضاف معنا آخر حيث جعل رسول الله أشرف من مشى على الأرض.

خاتمة

كان القرآن والسنة حاضران في ذهن ابن جابر، فرضع شعره بألفاظهما، ومعانيهما، وتراكيبهما، بعد أن صاغهما بما يناسب أبياته الشعرية فزاده إبداعاً وجمالاً ، مما أثر في المتلقي وأوضح له فكرته، وكذلك تضمن شعره بعضاً من أشعار العرب مما يدل على سعة اطلاعه وحفظه.

الهوامش:

- ١- أحمد الزعبي التناس نظريا وتطبيقيا، (مؤسسة عمون للنشر والتوزيع عمان الأردن الطبعة الثانية ٢٠٠٠م) ص ١١.
- ٢- ابن جابر الأندلسي ديوان نفائس المنح وعرائس المدح ص ٢٣٤، تحقيق محمد طيب خطاب (مكتبة الآداب- القاهرة عام ٢٠٠٥ م)، ديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين ص ١٥٩، تحقيق أحمد فوزي الهيب، (دار سعد الدين للطباعة والنشر ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ)
- ٣- سورة الحج ٧٨٣
- ٤- ديوان نظم العقدين ص ١٥٥٤
- ٥- ديوان نفائس المنح ص ٣٩٨٥
- ٦- سورة النصر ١٦
- ٧- سورة الليل ١٧
- ٨- ديوان نفائس المنح ص ٤٠١، نظم العقدين ص ٣٥٧٨
- ٩- ديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح ص ١٠٠، تحقيق أحمد فوزي الهيب، (دار سعد الدين للطباعة والنشر الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ)
- ١٠- سورة الفتح ١١٠
- ١١- ديوان نفائس المنح ص ٤٢٥، نظم العقدين ص ٣٨٩١١
- ١٢- ديوان نفائس المنح ص ٤٧٩ وديوان نظم العقدين ص ٤٥٤١٢
- ١٣- ديوان نفائس المنح ص ٥٠٨١٣
- ١٤- سورة النجم ٢١٤
- ١٥- ديوان نظم العقدين ص ٢٤٦١٥
- ١٦- سورة طه ٢٠١٦

- ١٧- نفائس المنح ص ٤٦٢^{١٧}
- ١٨- ديوان المقصد الصالح ص ٢٧٠^{١٨}
- ١٩- سورة المسد ١١٩
- ٢٠- ديوان نفائس المنح ص ٤٦٣^{٢٠}
- ٢١- سورة النجم ١٠ ٢١
- ٢٢- ديوان نفائس المنح ص ٤٠١ ، نظم العقدين ص ٣٥٧^{٢٢}
- ٢٣- ديوان المقصد الصالح ص ١٠٠^{٢٣}
- ٢٤- سورة الفتح ١٢٤
- ٢٥- ديوان نظم العقدين ص ١٣١^{٢٥}
- ٢٦- ديوان نفائس المنح ص ٣٢٥^{٢٦}
- ٢٧- سورة البقرة ٢٣٢٧
- ٢٨- سورة البقرة ٢٨٢^{٢٨}
- ٢٩- ديوان المقصد الصالح ص ٢٧٠^{٢٩}
- ٣٠- سورة المسد ١٣٠
- ٣١- ديوان نفائس المنح ص ٣٢٨^{٣١}
- ٣٢- سورة مريم ٩٨^{٣٢}
- ٣٣- القرطبي ج ١١ ص ١٦٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط الثانية ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٤م
- ٣٤- ديوان نظم العقدين ص ٩٣٣^{٣٤}
- ٣٥- سور النجم ١٩٣^{٣٥}

- ٣٦- ديوان نفائس المنح ص ١٧٣ ، نظم العقدين ص ١٠٢^{٣٦}
- ٣٧- سورة الحجر ٩٤^{٣٧}
- ٣٨- تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٦١٣^{٣٨}
- ٣٩- ديوان نظم العقدين ص ٩٤^{٣٩}
- ٤٠- سورة يوسف ١١١^{٤٠}
- ٤١- ديوان نفائس المنح ص ٣٨٩ ، نظم العقدين ص ٣٤٨^{٤١}
- ٤٢- ديوان نفائس المنح ص ٣٥٧^{٤٢}
- ٤٣- ديوان نفائس المنح ص ٣٨١ ، نظم العقدين ص ٣٣٦^{٤٣}
- ٤٤- نفائس المنح ص ٧٥^{٤٤}
- ٤٥- سورة الإسراء ١٤^{٤٥}
- ٤٦- ديوان نظم العقدين ص ٢٢٧^{٤٦}
- ٤٧- سورة قريش ٤^{٤٧}
- ٤٨- تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٢٠١^{٤٨}
- ٤٩- ديوان نفائس المنح وعرائس المدح ص ١١٦ ، نظم العقدين ص ٦١^{٤٩}
- ٥٠- سورة الأعراف ١٩٩^{٥٠}
- ٥١- تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٤٤^{٥١}
- ٥٢- ديوان نفائس المنح ص ٤٢٥ ، نظم العقدين ص ٣٨٩^{٥٢}
- ٥٣- سورة الأنبياء ١٠٧^{٥٣}
- ٥٤- سورة القلم ٤^{٥٤}
- ٥٥- ديوان نظم العقدين ص ١٩٤^{٥٥}

- ٥٦- سورة الأعراف ١٤٣^{٥٦}
- ٥٧- ديوان المقصد الصالح ص ٢٢٧^{٥٧}
- ٥٨- سورة الكهف ١٠٨^{٥٨}
- ٥٩- ديوان نفائس المنح ص ١٦٥^{٥٩}
- ٦٠- ديوان المقصد الصالح ص ٣٤٧^{٦٠}
- ٦١- البخاري الصحيح ص ٦ ج ١ ، ، تحقيق : محمد بن زهير الناصر ، طبعة دار طوق النجاة - الأولى ١٤٢٢م^{٦١}
- ٦٢- ديوان نفائس المنح ص ١٣٨^{٦٢}
- ٦٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٤ ص ٤١٠ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوطو عادل مرشد وآخرون ، إشراف : د عبد الله بن عبد الله المحسن ، (ط الرسالة الطبعة الأولى ٢٠٠١ م)
- ٦٤- ديوان نفائس المنح ص ١٦٧^{٦٤}
- ٦٥- ديوان نفائس المنح ص ١٧٣ و ديوان نظم العقدين ص ١٠١^{٦٥}
- ٦٦- مسند الإمام أحمد ، ص ٢٢٧ ج ٤^{٦٦}
- ٦٧- ديوان نفائس المنح ص ٣٥٢^{٦٧}
- ٦٨- صحيح البخاري ص ١٩٠ ج ٤^{٦٨}
- ٦٩- نظم العقدين ص ١٦٠ و ديوان نفائس المنح ص ٢٣٥^{٦٩}
- ٧٠- أحمد بن حنبل فضائل الصحابة ص ٩٧ ج ١ - تحقيق د وصي الله محمد عباس - طبعة الرسالة بيروت ، الأولى ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م
- ٧١- ديوان نظم العقدين ص ١٦٢ و نفائس المنح ص ٢٣٦^{٧١}
- ٧٢- فضائل الصحابة ص ٢٥٦ ج ١^{٧٢}
- ٧٣- نظم العقدين ص ١٦٤ و نفائس المنح ص ٢٣٨^{٧٣}

- ٧٤- فضائل الصحابة ص ٤٥٧ ج ١٧٤
- ٧٥- ديوان نظم العقدين ص ١٦٥ ونفائس المنح ص ٢٣٩٧٥
- ٧٦- أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة ص ٦٦٦ و ٦٦٣ ج ٢، - تحقيق د وصي الله محمد عباس -
طبعة الرسالة بيروت ، الأولى ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م
- ٧٧- المقصد الصالح ص ١٩٧٧٧
- ٧٨- الزمخشري : القسطاس في علم العروض . تحقيق : فخر الدين قباوة . (بيروت مكتبة المعارف
١٩٨٩ م
- ط٢) ص ٨٩
- ٧٩- المقصد الصالح ص ٢٧١٧٩
- ٨٠- الشعر والشعراء ص ٢٠٨٨٠
- ٨١- ديوان نظم العقدين ص ٢٤ ٨١
- ٨٢- المتنبي ،الديوان بشرح أبي البقاء العكبري تحقيق مصطفى السقا وآخرون،(القاهرة مصطفى الحبي
١٩٧٠) ص ٣
- ٨٣- نظم العقدين ص ٩١٨٣
- ٨٤- ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٤٥٩ ج ١، تحقيق: أحمد محمد شاكر(القاهرة دار الحديث ١٩٩٦ م
٨٤)